منظمة المرأة العربية
Arab Women Organization

مساهمة

أ.د. فاديا كيوان

المديرة العامة لمنظمة المرأة العربية

في

الجلسة الأولي

"المؤتمر العالمي للأخوة الإنسانية"

أبو ظبي :4-3 فبراير 2019

أودّ بداية توجيه الشكر إلى سلطات الامارات العربية المتحدة على دعوتي للمشاركة في هذا الحدث الثقافي الهام جداً للإنسانية جمعاء وتوجيه التهنئة ايضاً على اختيار هذا الموضوع/ الاشكالية وفتح نقاش صريح وشجاع حول أوجه عدة في مسألة الأخوة الانسانية لا بل حول علاقة الأديان السماوية بالأخوة الانسانية.

تلفت الدراسات الأنثروبولوجية إلى ظهور وعي حدسي لدى المجتمعات البشرية الاولى حول وجود خالق للكون وللبشر وجاءت تجليات هذا الحدس تبني صوراً متنوعة لخالق الكون وخالق البشر، فجسّده الحدس بداية في صورة قوة طبيعية متحكمة بمصير الأرض والبشر وسائر الكائنات وبالكون بكامله،

وتشير العديد من تلك الدراسات إلى وجود علاقة ميكانيكية كانت تشكل الرابط/العصب/ فيما بين أفراد كل جماعة من البشر. وكان يشتد العصب بين أفراد كل جماعة مع اشتداد الصعاب والتحديات التي كانت كل جماعة تواجهها في سعيها إلى ايجاد سُبل العيش والبقاء.

فهناك شعوران كانا يتملكان من الجماعات البشرية الأولى: شعور التضامن الميكانيكي بين أفراد كل جماعة وشعور بالعداء تجاه الجماعات الاخرى. وهذان الشعوران كانا ينتجان تماهي للأفراد في جماعتهم والعدوانية تجاه الاخرين.

حتى كبار المفكرين المعاصرين أشاروا إلى ما أسموه **"الشيوعية البدائية"** واذكر من بينهم جان جاك روسو وكارل ماركس، ومعلوم أن روسو رسم صورة الإنسان الأول ، الطيب بالفطرة والذي يفسده العيش في ظل شريعة الغاب وروسو وضع تصوراً للأسباب التي دعت البشر إلى الانتظام تحت سلطة مدنية للخروج من حال شريعة الغاب والحصول على الأمان .

أما ماركس، فقد اعتبر أن الخروج من الشيوعية البدائية حصل عندما وضع الافراد الأكثر قوة من سواهم يدهم على الأرض وعلى الممتلكات وعلى البشر واستملكوهم. فإذا بظاهرة التملك الخاص تنتج الصراعات والعدائية.

ونعلم أن ماركس اعتبر انه في إلغاء التملك الخاص طريقاً للعودة إلى الأخوة الانسانية. ونعلم ايضاً ان هذه اليوتوبيا الماركسية اصطدمت بالواقع الذي بيّن جنوح البشر إلى تملك السلطة وسعيهم إلى الابقاء على سيطرة من كان في السلطة على سائر البشر. وهذه كانت بعض أسباب انهيار الأنظمة الاشتراكية والشيوعية في ثمانينات القرن الماضي.

المفهوم المادي المحض للكون وللعلاقات بين البشر سقط سقوطاً مدوياً وعادت تعلو المنظومات الفكرية التي سلطت الضوء على المشاعر والقيم التي تربط بين البشر. وقد أشار الفيلسوف شوبنهاور Schopenhauer إلى شعور التعاطف compassion الذي يعلو كل الفروقات بين البشر ويشدّهم إلى بعضهم. وذهب الفيلسوف جان بول سارتر إلى حّد تقديس الذات /الأنا Ego على أنه قادر على تجاوز نفسه وانتاج قيم تبني له علاقة أمان مع ذوات الآخرين. لكن نعلم أن الخيار الذي طبع الفكر الوجودي عند سارتر والذي كان الإلحاد الوجودي، لم يسمح لسارتر ببناء علاقة أمان ثابتة ومستقرة للذات البشرية بل أنه اعتبر الذات البشرية في حالة صراع أو كباش دائم مع ذوات الآخرين وقد اشتهر في هذا السياق قوله "بأن الجحيم هو الآخرين".

في مقابل الوجودية الإلحادية ظهرت مدارس فكرية وجودية هى الاخرى لكنها رأت في قدرة الذات على تجاوز نفسها طاقة للتلاقي مع ذوات الآخرين وحول بناء منظومة قيم انسانية ونذكر من هذه المدارس: التيار الوجودي المسيحي مع ايمانويل مونيه Emmanuel Mounier والتيار الشخصاني humanistic personalism عند تيار دو شاردان Teillard de Chardin ، هذه الاتجاهات الفكرية المتقابلة والمتعارضة

انحصر تأثيرها في وسط المثقفين لكنها لم تتسع تأثيرا لتشمل العامة ولتطبع سلوك المجتمعات بشكل واسع.

وحدها الأديان السماوية في مرحلة أولى، استطاعت إحداث نقلة نوعية في حياة البشر . فقد أرشد الأنبياء والرسل البشر إلى الرب تعالي خالق الكون وخالق البشر واستكملت هذه الرسالة عبر إنجيل المسيح. ونحن العرب نعرّفه بيسوع الناصري ناشر الدعوة إلى المحبة والأخوة بين البشر والذي يقال عنه أنه ربط الأرض بالسماء. وكذلك رسالة النبي محمد، صلي الله عليه وسّلم، وقد أنزل عليه الرب كتابه المقدس، القرآن الكريم، ليؤكد علاقة البشر برب العالمين وليدعوهم الي الرحمة وإلى الأخوة، إلى البر والإحسان، والصدقة والذكاة، والشفقة.

وفيما نتجه نحن كعرب إلى التغني بأن الرب تعالي قد اختارنا كأمة عربية لينزل علينا كتابه وبلغتنا العربية، يعود إلى ذاكرتي القول المأثور للنبي محمد ، صلى اللهُ عليهِ وسلم، "رُب أخ لك لم تلده أمك" وقوله "لا فرق عند الله بين عربي و لا أعجمي و لا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى"، وقوله تعالى **"يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"،**

وتكتسب هذه الأقوال قيمة عظمى عندما نتذكر بأن المجتمعات العربية كانت منقسمة إلى قبائل تتصارع باستمرار . وهذه الأقوال تشير بوضوح إلى الأخوة، خارج إطار عصب الرحم والذي تحدث عنه إبن خلدون، أو العصب العشائري أو القبلي والذي استرسلت في وصفه الدراسات الأنتروبولوجية والقول الأخير يشير بوضوح إلى البعد الإنساني الأكبر للرسالة الإسلامية .

بعد هذه اللمحة السريعة إلى البدايات والاتجاهات الفكرية، من واجبنا التوقف عند واقع حياة البشر في زمننا الحاضر.

وفي هذا السياق ، فإننا نرصد أربعة منطلقات معاصرة للأخوة الإنسانية :

1) ***المنطلق الحدسي*** : وهو مجبول بطبيعتنا الإنسانية وهو يرافقنا منذ وجود البشر على هذه الأرض . وهذا المنطلق الحدسي يفسّر شعورنا العفوي بالتعاطف مع الآخرين ، مع إقرارنا بأن التعاطف يقوي ويضعف بحسب اعتبارات نفسية عدة، منها صلة القربى، ومن أقواها عصب الرحم ، ومنها الشبه والتماثل والتماهي اللاشعوري .

ومنها ما هو مرتبط بتصورات خاصة تجول في وعي كل إنسان وحتى في لا وعيه فتتجلى حباً ومحبة وشفقة وتعاطف وأخوة وتضامن وغيرها من المشاعر الإنسانية النبيلة. لكن علينا الإقرار بعشواءيها وتقلبّها طالما بقيت متغلغلة في لاوعي كل إنسان، ومتقلبة بفعل مزاجه وأحواله النفسية.

2) ***المنطلق الديني:*** في بعده الأخلاقي وهنا تتجلى أهمية الأديان السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام. وبالطبع علينا أن نميّز نحن العرب، بين اليهودية كدين والصهيونية كعقيدة سياسية عنصرية لطالما دعت إلى نصب العداء لنا وإلى مواصلة احتلال أرضنا ودعت وتدعو إلى التقوقع وإلى بناء الجدران.

والمسيحية في صميمها دين المحبة كما دعي إليها السيد المسيح، ودين الإحسان والأخوة. وتشكل سيرة السيد المسيح، يسوع الناصري، قدوة في هذا المجال.

والإسلام دين الرحمة والتكافل بين البشر وقد دعي إلى ذلك النبي محمد ،صلى الله عليه وسلم، خاتمة الأنبياء .

وقد طبعت الديانات السماوية بشكل واسع حياة المجتمعات البشرية لأن كل من هذه الديانات انتظم في منظومات قيميه كانت وما زلت تنقل إلى الناس أهدافاً أخلاقية وتضع ضوابط للسلوكيات البشرية لتبقى مهتدية إلى الله تعالى ولتذكر بشكل دائم أن

هناك دنيا وهناك آخرة وأننا خلق الله ومؤتمنون على الأرض وعلى البشرية وعلى كل الكائنات.

3) ***المنطلق المدني*** : وهو مرتبط مباشرة بالتشريعات والقوانين الوضعية التي أرست عليها سائر المجتمعات المعاصرة قواعد حياتها المشتركة وحاولت أن تجسّد من خلالها القيم الانسانية التي توثّق العرى بين الناس وتؤسس للأمان والسلام.

ولا يخفى على أحد أن المنظومة الحقوقية المعاصرة والتي تتجسد بالشرعة العالمية لحقوق الانسان متأثرة جداً بالأخلاقيات الدينية وإن هي بدت مستقلة عنها.

وإشهار انسانيتنا كبشر لا يتعارض اطلاقاً مع ايماننا الديني بل يبدو أنه ينزّه الايمان بالقيم الانسانية عن كل علاقة بالسلطة أو السلطان.

وعلينا أن نقّر بأن الديانات السماوية لم تنحصر في الرسالة التي أدلى بها المسيح واقتدى بها ودعانا إلى اتّباعه في دين المحبة، ولا في الكتاب المقدس وكلمة الرب تعالى والمُنزل على النبي ،محمد صلى الله عليه وسلم، بل أن هذه الديانات سلكت مسارات تاريخية وتداخلت مع نظم اجتماعية وسياسية واختلطت أكثر من مرة وفي أكثر من مكان بالسلطة، فتحولت احياناً إلى أداة لإعطاء الشرعية إلى السلطة بدل أن تكون مرشداً لها وهداية للحكام والمحكومين على السواء.

أمام ارتباط تاريخ الديانات السماوية بالحكم السياسي، تفلتت القيم الاخلاقية من النظم وسلكت طريقها إلى بناء اخلاقيات انسانية مستقلة تنشد الأخوة والسلام.

لكن الاعلان العالمي لحقوق الانسان ليس لديه ذراع تنفيذية اذا لم يعتمد طريق الاتفاقيات الدولية التي تمر عبر الممر الالزامي للدول وللحكومات وللسياسة.

4) ***<u>منطلق التحديات المستقبلية المشتركة</u>:*** وهو بدون شك ذي قيمة كبرى بالنظر إلى جسامة الأضرار التي حلّت بالأرض وبالبشرية ونذكر الصراعات المسلحة والحروب التى تفتك بالمدنيين وجلهّم من النساء والفتيات ويذكر أيضا التغيير المناخي والكوارث الطبيعية وسواها .

الخلاصة :

الأخوة الانسانية حدس ودين وبناء مدني ومواجهة مشتركة للتحديات إذ أن هذه المنطلقات الأربعة تدعو إلى تعزيز الروابط بين البشر وفي ذلك اقرار بمبادئ لا مفر منها:

1- اقرار بالتنوع الثقافي بين البشر، افرادا وجماعات واحترام للتنوع والاختلاف.

2- التخلي عن الصور النمطية للآخر أكان من دين آخر أو عرق آخر أو قومية أخرى أو من طبقة اجتماعية أخرى، اكان رجلاً أم امرأة، واعتبار الناس أخوة فوق كل الاعتبارات يستحقون الاحترام والمحبة. وإقرار حرية الضمير والحريات الشخصية لكل فرد راشد.

3- البحث عن الأمان هو حاجة لبني البشر أجمعين وهو مسؤوليتهم في نفس الوقت.

4- السلام المبني على العدالة وحده يوّفر الأمان للبشر وبناء السلام يجب أن يسترشد بقيم حقوق الانسان وادواتها القانونية كافة.

5- مصير الأرض هو مسؤولية مشتركة لبني البشر. وهناك تحديات خطيرة تهدد الأرض وسائر الكائنات، ولا نستطيع مواجهتها إلا بالتضامن والتعاضد بين البشر وبين الأمم.

في زمننا الحاضر هناك اتجاهان يسلكهما الناس والمجتمعات:

- بناء الجدران أو بناء الجسور.

- أما بناء الجدران فيسير عكس التاريخ وعكس مصالح الناس ويؤجج الصراعات و وينتج الحروب.
- وأما بناء الجسور فهو الطريق الأسلم إلى الاستقرار والأمان وبناء السلام.

فهل ستساهم الأديان السماوية في بناء الجسور فتساهم في انقاذ البشرية وانقاذ الأرض نفسها؟

فاتني التحدث عن الفيلسوف الألماني ايمانويل كنط Kant والذي أسس السلم العالمي على قاعدة العقلانية العملية/ التطبيقية\ العقل العملي. لكن فكر كنط ليس غريباً عن الثقافة الدينية لكنه حاول الابتعاد عن الدين عندما يكون أداة للسلطة وأن يؤسس لما وجد فيه طريق السلم العالمي وهو رابط الانسانية العالمي.

نعود فنكرر تحيتنا إلى المنظمين واقتناعنا بأن هذه المبادرة المباركة تعكس يقظة للوعي الانساني فلعّل هذه اليقظة تساهم في انقاذ الانسانية وانقاذ الأرض من المصير القاتم الذي يهددهما.

والسلام عليكم.